مختصر خطبة صلاة الجمعة 29/ 4/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(القناعة عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها)

القناعة هي الرضا بما قسمه الله لك. ولا تتعارض القناعة مع الطموح، بل هي صمام أمانه. فالقناعة الصحيحة هي التي تكون بعد بذل الجهد كله، وليست التي تكون بديلاً عنه.

وإذا كان حديث اليوم عن القناعة عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة:

1- روى ابن ماجه عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير، فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه. وإذا أنا بقبضةٍ من شعير نحو الصاع، وقرظ في ناحية الغرفة، وإذا إهاب معلق (الإهاب: الجلد) فابتدرت عيناي. فقَالَ: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟»، فقلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جَنبِكَ، وهذه خزانتك لا أرى إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك. قَالَ: **«يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا»**.

2- روى الإمام الترمذي عن حكيم بن حزام، قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: **«يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»**. فقال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا. فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس شيئاً بعد رسول الله ﷺ حتى توفي.

– متزوجة من طبيب دَيِّنٍ فَتِيٍّ يُغْرِقُها بالكلام الجميل، لكنها تطلب منه الطلاق وتعتذر إليه بأنها لاتستطيع تَحَمُّلَ شَظَفَ العيشِ معه لأنَّ دخْلَهُ لايغطي متطلباتها التي تعوَّدَتها عند والدها.

– اشترى لها زوجها ثوباً يتناسب مع دخله لتحضرَ به حفلَ زفافِ قريبتها، وذهبتْ الحفلَ مسرورةً ولكنها عادت مقهورة لأنها وجدت الكثيرات غيرها يرتدين ما هو أجمل من ثوبها، وباتت ليلتها معاتبةً زوجها نادبةً حظَّها متألمةً لمصابها.

مما يساعد على التحلي بخلق القناعة أربعة:

أولها: الإكثار من ذكر الله تعالى: فمن أكثر من ذكر الله قرَّبه إليه، وعرَّفه حقيقة الدنيا، وأعلمه أن الله يعطيها من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا من يحب.

ثانيها: النظر إلى من هو أسفل منك في شؤون الدنيا: قال رسول الله ﷺ: **«انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»** [البخاري ومسلم].

ثالثها: صحبة أهل القناعة والتعفف

رابعها: اعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

فمن عرف ذلك وآمن به اطمأنت نفسه، وهدأ باله، وقنع بما أعطاه الله.

والحمد لله رب العالمين